Narrative elements in the novel "Utopia" by Ahmed Khaled Tawfiq

Dr. Abass Yadollahi Farsani*
Dr. Javad Sadounzadeh**
Zahra Sayyahi Hoseini***

(Received 28 / 12 / 2021. Accepted 14 / 2 / 2022)

□ ABSTRACT □

This research aims according to the descrip tive, analytical, and statistical method of the narrative elements found in the Utopia novel. Through these elements, he seeks to explain what the Egyptian writer Ahmed Khaled Tawfiq did. From his presentation of the ideas and social issues that swept his society. The writer relied on building parts of his novel on narrative elements, such as (primary, secondary, marginal characters). Which constitutes the important element in serving the writer's goals in explaining poverty, injustice, and class differenti ation. Use the dialogue technique (external and internal), whose presence was the highest among the other elements. For the consistency of events, he benefited from the plot (beginning, conflict, anxiety, climax, and end), and he arranged and developed it perfectly. As they are related to each other, and also benefited from narration, description, time and placeAnd he made its description very close to reality, expressing the struggle between classes, and exposing the falsity of the rulers and officials in Egyptian society. And he was creative in narrating the narration, so he moved from the external narration and description to the inner reality of the human being with honesty and boldness.

Keywords: Arabic Novel, novel elements, fiction literature, Reality.

* **Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.(writer Responsible). yadollahi.a@scu.ac.ir**
****Associate professor Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.**
***** MAster, Department of Arabic Language and Li terature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.**

العناصر القصصية في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق

د. عباس يداللهي فارساني *
د. جواد سعدون زاده **
زهراء سيّاحي حسيني ***

(تاريخ الإيداع 28 / 12 / 2021. قبل للنشر في 14 / 2 / 2022)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث ذو المنهج الوصفي التحليلي، والإحصائي للعناصر الروائية الموجودة في رواية يوتوبيا،و يسعى من خلال تلك العناصر، إلى تبيين ما قام به الأديب المصري، أحمد خالد توفيق، من طرحه أفكار والقضايا الاجتماعية التي اجتاحت مجتمعه. ا ستند الكاتب في بناء أجزاء روايته على العناصر القصصية، مثل الشخصيات (الأساسية، الثانوية، الهامشية)، التى تشكّل العنصر المهمّ في خدمة أهداف الكاتب في تبيين الفقر، والظلم، والتمايز الطبقي. استخدم تقنية الحوار (الخارجي والداخلي)، الذي كانوجوده أعلى نسبة من بين العناصر الأخرى، ولتناسق الأحداث استفاد من الحبكة (البداية، والصراع، والقلق، والذروة، والنهاية)، وقد رتّبها وطوّرها بإتقان، إذ يتصل بعضها ببعض، وأيضًا استفاد من السرد، والوصف، والزمان والمكان، وجعل وصفها قريبًا جدًا إلى الواقع، معبرًا عن الصراع بين الطبقات، والكشف عن زيف الحكّام والمؤو لين في المجتمع المصريوأبدع بسرد الرواية،فينتقل من السرد الخارجي والوصف إلى واقع الإنسان الداخلي بصدق وجرأة.

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية، عناصر الرواية، الأدب القصصي، الواقع.

* **أستاذ مساعد ،قسم اللغة العربية وآدابها. جامعةشهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران (الكاتب المسؤول). yadollahi.a@scu.ac.ir**
** **أستاذ مشارفي قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران.**
*** **ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز،إيران.**

مقدمة

عرفت الرواية بأنّها فنّ البرجوازي لتعبيرها عن القيم البرجوازية، ولكنّها انتقلت بعد ذلك لتعبّر عن باقي الطبقات الاجتماعية وتجسّد رؤاها وقضاياها ومشكلاتها. رغم أنّ الرواية ترتبط بباقي الأجناس الأدبية الأخرى، إلاّ أنّها تتميز عنها بخصائص عدّة، كطولها، وبنائها، ولغتها، وكثرة شخصياتها، وقوّة ارتباط هذه الشخصيات مع باقي العناصر التي تشكل بناء الرواية الفنية. وأمّا «كون الرواية متفردة بذاتها؛ فلأنّها ليست فعلًا وحتمًا، أيًا من هذه الأجناس الأدبية، فهي طويلة الحجم، ولكن دون طول الملحمة غالبًا، وهي غنيّة بالعمل اللغوي، ولكن يمكن لهذه اللغة أن تكون وسطًا بين اللغة الشعرية التي هي لغة الملحمة، واللغة السوقية التي هي لغة المسرحية المعاصرة، وهي تعوّل على التنوع والكثرة في الشخصيات، فتقترب من الملحمة دون أن تكوّنها بالفعل، حيث الشخصيات في الملحمة أبطال، وفي الرواية كائنات عادية، وهي تتميز بالتعامل اللطيف مع الزمان والحيز والحدث»([1]).

لكلّ أنواع الأدب القصصي، رواية كانت أم قصة أم أقصوصة، عناصر مهمّة تعدّ العامل المهمّ لاستقامة هذا النوع من الأدب، منها الشخصيات بأنواعها، وبتشكيلها، ورسمها الفنيّ، والمكان، من حيث كونه خلفية أو إطارًا يفترض أن يكون مناسبًا لما يجري فيه من أحداث، وما يتحرك فيه من شخصيات، والزمن وتفاعلاته وتداخلاته وتأثيره في الأحداث والشخصيات، وأسلوب التعبير عن كلّ ذلك من السرد والوصف والحوار. هذه العناصر إحدى مستلزمات الأدب القصصي. يعدّ عنصر الشخصية من بين هذه العناصر من العناصر المتميزة التي تؤدّي دورًا مهمًّا في تبيين نوع الرواية وكيفية سردها، فوجود الشخصية أو عدمها هو الذي يحدّد نوع العمل السردي، ودراسة الشخصيات، وتقاسيمها، وأساليب رسمها، وتحديد الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصية، إذ توضح جانبًا كبيرًا من ابتكار الكاتب وإبداعه.

استطاع أحمد خالد توفيق أن يصف المجتمع المصري عبر رواية "يوتوبيا" معالجًا مجتمعه بداية من سبعينات القرن الماضي إلى ما تصل إليه في المستقبل القريب حول العشرينيات في القرن الحاضر. تعدّ هذه الرواية رواية خيالية قريبة من الحقيقة في العام الذي طبعت، أي سنة 2008م، ولكنّها أصبحت الآن رواية واقعية جدًا، وقد عالج الكاتب في الرواية أحوال المجتمع؛ نعني أحوال جماعة من الناس الذين يعيشون في موقع جغرافيّ، ووقت معين يشتركون في نواحي الحياة المختلفة من الدين، واللغة، والعلم، والعادات، والاتجاهات، وما إلى ذلك مما نتصوره في حياتنا.

عمد الكاتب إلى إمعان النظر في مجتمعه المصري، وقام بتحليل دقيق لكلّ نواحي الحياة، من السياسة، والساسة، والتعليم، والثقافة، والدين، وأحوال رجال الدين، ورجال الأحزاب السياسية، ورجال الجيوش، مع مقارنتها بما يدور حول العالم كلّه.

فرضيات البحث

1–من المفترض أنَّ الكاتب قام بتوظيف العناصر الروائية؛ كالشخصية، والحوار، والحبكة، والوصف، والسرد،والمكان والزمان خلال هذه الرواية، محاولًا أن يجعلها متناسقة مع أحداث الرواية.

2– نفترض أنَّ عنصر البداية يتمثّل في هذه الرواية بشكل احترافي، ليشدّ القارئ على المتابعة ومواصلة القراءة، ليترك المجال مفتوحًا أمام القارئ ليصور النهاية كما يشاء.

3-من المفترض أن يتجلّى عنصر المكان بنوعيه: المفتوح والمغلق في الرواية، وأن يكون بشكل واقعي مأخوذًا من بيئة الكاتب ليكون مقنعًا، وأمّا بالنسبة إلى العناصر الأخرى، فمن المفترض أن تكون مترابطة بعضها ببعض، أو متفككة.

أسباب اختيار الموضوع

تمّ اختيار دراسة "يوتوبيا"، لأنّها تحتوي على القضايا المهمّة التي يجب على كلّ إنسان أن يعيها، وأن يعرف الحقوق التي يجب أن يحصل عليها، لكي يعيش حياة تليق بالبشرية. في كلّ المجتمعات الإنسانية من يطالب بحقوقه لينعم بالرفاهية، ومن يأخذ جانب السكوت وينتظر مصيره الذي سيؤدي إلى الهاوية. هذا ما عالجته الرواية في المجتمع المصري. في الحقيقة يريد الكاتب أن يخاطب جميع المجتمعات، لتنمية شبابها قبل أن تنفجر قنبلة التمايز الطبقي. أمّا عن سبب اختيارنا لهذا الكاتب، فإنَّه يعدُّ أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب، وخاصّة في مجال أدب الشباب، والفانتازيا، والخيال العلمي. من هنا، يعدّ أحد أبرز كتّاب قصص التشويق والشباب في الوطن الإسلامي الذي يتميز بأسلوبه الممتع والمشوق، مما أكسبه قاعدة كبيرة من الجمهور والقراء.

الدراسات السابقة

إذا أمعنا النظر في خلفية البحث، نجد أنّها تعاني من قلّة اهتمام الدارسين بهذه الرواية. هناك مقالة واحدة تم نشرها في مجلة المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية في أبريل 2019 م التي تحمل العنوان: "الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة؛ قراءة في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق": للدكتور هومن ناظميان من المنظور الاجتماعي وفق البنيوية التكوينية عند لوسيان غولدمان.

هناك في مجلة "العراق اليوم" المطبوعة سنة2015م، مقالة درست "رانية الحسيني" هذه الرواية من الزاوية الاجتماعية تحت العنوان: "ناقوس الخطر يوتوبيا أحمد خالد توفيق ..ليست المدينة الفاضلة"، إذ قامت بدراسة حللت فيها قضاياها منبهة المجتمع المصري عمّا سيواجه في المستقبل القريب من أزمات وكوارث.

ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق؛عرض وتحليل: محمود محمد السعيد أبوزهرة، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة،جامعة الأزهر،المجلد 39، العدد 3، 2020م، صص1050-1007.

سياسات الخوف ووسائل الدفاع النفسية: نظرية التحكم في الخوف في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق: داليا منصور، مجلة فيلولوجي (سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية)، جامعة عين شمس،المجلد 36، العدد 72، 2019م، صص 26-7.

أهمية البحث وأهدافه:

نظرًا للدور البارز الذي تعلبه العناصر الروائية ضمن المنجز الأدبي، تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على ما ورد في هذه الرواية من توظيف العناصر القصصية التي حاول الروائي عبرها تجسيد ما سينتاب المجتمع المصري من أزمات وكوارث، وهذا لا يتمّ إلاّ من خلال توظيف هذه العناصر والتقنيات التعبيرية التي أراد القاصّ أثناءها، الكشف عن مدى حنكته الأدبية من أجل خلق النص المبدع لتوصيل المراد إلى المتلقّي.

نبذة عن رواية يوتوبيا

صدرت "يوتوبيا" عن دار ميريت بوصفها أوّل رواية مستقلة للدكتور أحمد خالد توفيق، وهي رواية مخيفة مفجعة. لم تتسم هذه الرواية بالرعب والخوف، بل تعدّ من طراز الأدب الواقعي. كتب الروائي هذه الرواية حول مدينة مخيفة

ستعمر في أرض مصر وفلسطين عام2020م، أو قريبًا منه. تدور الرواية بين عالمين، المدينة المسورة التي يسكنها الأغنياء، ويحرسهم أفراد منظمون من المارينز الأمريكيين المتحكمين في الدواء، والطعام، والصحافة، والبورصة؛ حيث يعيش أبناؤهم حياة مرفهة جدًا بلا رقابة حقيقية من أي نوع. يذهبون لمول "إيليت"، ويتعاطون مخدر "الفولوجستين"، ويستمعون لموسيقى "الأرجازم"، إذ يمارسون كلّ أنواع الترفية الممكنة، حتى يستنفذوها جميعًا، ثمّ يخترعون لعبة جديدة تصلح للتفاخر فيما بينهم، ويخرج الشجاع منهم خارج "يوتوبيا"، ليصطاد أحد "الأغيار" كما تسمّيهم الرواية. يعود من المغامرة بتذكار، هو جزء من جسد المقتول. أمّا عن عالم الأغيار، فهو عالم السواد الأعظم من المصريين، بلا أعمال سوى تقديم الخدمة للأثرياء، بلا مستشفيات، ولا علاج، ولا شرطة، ولا مترو ولا أنفاق، ولا خدمات. يأكلون هياكل الدجاج ويصطادون الكلاب في الشوارع للحصول على اللحم، ويغرقون في الجهل، والتغييب، والتهميش، والمخدرات، ويمارسون الدعارة كالحيوانات، ولا يصلحون لأي شيء. يخرج أحد المراهقين الأثرياء بصحبة فتاته للصيد، فيقابل أحد الأغيار وأخته، يتشابك عالمهما، وتتفاقم الأحداث حتى تأتي النهاية رغم قسوتها الشديدة، وتنبئ بأمل يلوح من بعيد رغم أنَّ الرواية تنتهي قبل تأكيده.

نبذة عن عناصر الرواية العربية

الشخصية

اختلفت النظرة إلى الشخصية باختلاف مذاهب الكتابة القصصية. فقد كانت الرواية الواقعية هي منطلق التصور النفسي للشخصية. وكانت الخرافة – كما حللها "فلاديمر بروب"– منطلقًا للتصور الذي يرى في الشخصية دورًا. كانت القصص الأسطورية منهلًا استقى منه "غريماس" تصوره السينيمائي فاعلًا. لقد لاحظ "بروب"، وهو يدرس الحكاية الشعبية الروسية، أنَّ ثمة دوائر تعمل سبعًا لا يخرج عنها مختلف شخصيات الخرافة. وهذه الدوائر التي تمثل أدوارًا وهي: المتعدي، والواهب، ومساعد الأميرة، وأبيها المرسل، والبطل، والبطل الزائف. أمّا "غريماس" فقد أفاد من الجرد الذي أعده "بروب"، وذاك الذي أعده "سوريو" للوظائف المسرحية أو الأدوار، ليقدم فواعله أو أقطابه الفاعلية الأساسية الستة. وهي الموزعة أزواجًا: الذات، والموضوع، وتربطهما علاقة رغبة، المرسل، والمرسل إليه، وتربطهما علاقة التواصل، والمساعد، والمعارض، وتصلهما علاقة الصراع.

فمن هذا المنطلق، «تمثل الشخصية مع الحدث عمود الحكاية الفقري. لذلك تدرس في إطار الحكاية. إلا أنَّ هذا الدرس قد تعثر طويلًا، ولم يحقق نقلة نوعية إلا لما أعادت السرديات النظر في طابع الشخصية النفسي، حيث حصرها النقد التاريخي وعاملها، على أنَّها معطى جاهز مثلما فعل "فورستر"، وقد نبهت السرديات – مستندة إلى المقاربات البنيوية والسيميائية، لفكّ الارتباط بين الشخص والشخصية ولدور الشخصية، في القصص التخييلية، كائنًا ورقيًا متخيلًا، ولكونها مجرد دور أو فاعل» ([1]).

الحبكة

مصطلح الحبكة في الأدب يدلّ على إطار الأحداث في القصة، أو الدوافع والأسباب التي تربط الأحداث وتمهّد لظهور حدث، من أجل ما جرى قبله، وبدوره يمهّد لما بعده، وهو يوضح لنا لماذا حدثت الأحداث، وماذا سيحدث بعدها([2]). الحبكة هي التي تعطي كاتب القصة تصورًا عامًّا عن الكيفية التي يريد من خلالها أن يقدّم الحدث ضمن الرواية للقرّاء. تعدّ بداية الصراع، وهي بداية الحبكة والحادث المبدئي، المرحلة الأولى من الصراع، ونهاية الصراع هي نهاية الحبكة. تقسم الحبكة من حيث تركيبها إلى النوعين: الحبكة المفككة، والحبكة المتماسكة. تبنى القصة من

الحبكة المفككة «على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي تكاد لا ترتبط برباط ما. ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل الأحداث، بل تعتمد على البيئة التي تتحرك فيها القصة، أو على الشخصية الأولى فيها، أو على النتيجة العامة فيها... أمّا القصة ذات الحبكة المتماسكة، فهي تقوم على حوادث مترابطة، يأخذ بعضها برقاب بعض، وتسير على خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها»([1]).

العقدة

هي عنصر التشويق والإثارة في الرواية حيث يبدأ الصراع، وتتطور الأحداث، وتنال حياة الشخصيات، وتدفعها لحلّ العقدة. يظهر هذا العنصر في المشاهد الأولى للرواية، وحلّه يعرف بحلّ العقدة، أي يخلق الكاتب عقدة في بداية الرواية. تسبّب حالة تعقيد تظهر اشتباكات الشخصيات نتيجة لذلك. لذا، فإنّ العقدة في بداية الرواية تجعل القارئ يتشوق لقراءة المزيد من الرواية، دون أن يتركها من أول الصفحة.

الصراع

الصراع أي الاشتباك بين الفريقين من القوى، وهو الذي يبتدئ من مكان (العقدة) في بداية الرواية، وينتهي من مكان آخر (حلّ العقدة) في نهاية تلك الرواية. بعبارة أدقّ، كلّما يوجد الصراع توجد الرواية، فإذا ينتهي الصراع، تنتهي الرواية([2]). يمثّل الصراع معارضة الرأيين أو القوتين الشخصيتين، يمكن أن تكون كنزاع الإنسان على وجه الإنسان، أو الإنسان تجاه الطبيعة، أو الإنسان أمام نفسه([3]).

الأزمة

الأزمة في إطار مصطلح أدبي تسمى باللحظة في الرواية، أو المسرحية حتى يصل الصراع إلى غايته ويؤدي إلى أخذ القرار. وهي لحظة أو حقبة زمنية يقع فيها التغيير للرواية. بعبارة أخرى، الأزمة هي لحظة تواجه قوات متعارضة لآخر مرة ؛وتسوق القضية الروائية نحو ذروتها، فتتحول حياة شخصية الرواية أو شخصياتها، ويظهر فيها التغيير الحاسم في سير الرواية الرئيس([4]). تسمى أزمة الرواية بالمغافلة، وهي تعبير عن مواجهة القارئ بحالة أو حدث فجأة من دون أي تكهّن.

السرد و وجهة النظر للسارد (زاوية الرؤية)

السرد هو العمل الذي يتولاه الراوي، أو أي شخص يقوم بسرد حدث ما، كما ذهب إليه بعض النقاد المعاصرين الذين يعالجون بنية النصّ السرديّ. يقصد بالسرد «الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق الراوي، ثم القصة، ثم المروي له، وما له من مؤثرات بعضها يرتبط بالراوي، والمروي له، والبعض الآخر يرتبط بالقصة»([5]). وجهة النظر أو زاوية الرؤية، نوع من عدسة شخصية أو غير شخصية يتمّ من خلالها إبلاغ القصة. يكون الراوي هو صاحب الطابع الشخصي للقصة، أو الصوت للشخصية التي من خلالها يطورها كاتب القصة، لتوصيل المعلومات إلى الجمهور، ولاسيما عن الحبكة. قد يكون الراوي صوتًا وضع من قبل المؤلف باعتباره مجهول المصدر، أو كيانًا قائمًا بذاته، إذ يعتبر الراوي بوصفه مشاركًا في شخصيات القصة، وغير مشارك، عندما يعتبر بوصفه شخصية متقمصة داخل إحدى الشخصيات في القصة، أو الصوت الذي يربط فكرة القصة للجمهور دون تورّطهم في الأحداث الفعلية.

الحوار

الحوار هو عملية التواصل بشكل كلامي يدور بين الشخص ونفسه أو بينه وبين الآخرين، إذ «يعدّ الحوار من أهمّ الوسائل الضرورية و الفعّالة التي لا بدّ منها في عملية التواصل لدى الأشخاص والمتحاورين، ويعتبر أفضل طريقة

للتفاهم لما يحتويه من أساليب وأهداف مرجوة» ([1]). يدور الحوار «بين الاثنين على الأقلّ، ويتناول الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب، ونفسه، أو ما ينزله مقام نفسه، ويفرض عليه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس» ([2]).

دراسة العناصر القصصية في رواية يوتوبيا

الشخصية

عندما نقرأ رواية يوتوبيا نتفاجأ بقدرة الكاتب على كيفية تصوير الشخصيات داخل روايته؛ ففي كل المشاهد كانت الشخصيات تحاول أن تجعل نفسها تبدو حقيقية، وواقعية بعين القارئ. ومن ثمّ، تؤدّي الشخصية ضمن الرواية دورًا مهمًّا في «تكوين روعة القصة وقوّتها، نتيجة لمقدرة مؤلفها في رسم الشخصيات التي لا تشذّ في ملامحها عن الشخصيات الإنسانية المعروفة، إلا أنّها تعكس لنا بعض الخصائص المشتركة في الجنس البشري» ([3]). على طريقة هربرت جورج ويلز في روايته المشهورة "آلة الزمن"، ينطلق بنا أحمد خالد توفيق إلى المستقبل ليصف الوضع الذي ستصبح عليه مصر بعد أقلّ من خمسين عامًا، بعد انعدام الطبقة الوسطى التي كانت بمنزلة صمام الأمان. يقسم الكاتب شخصياته إلى نوعين أو بالأحرى إلى طبقتين؛ الأولى: وهي الطبقة البرجوازية؛ فئة الصفوة، وأبناء وأحفادها، وهي الفئة التي تملك كلّ الموارد التي تكفل لها حياة الملوك، ويعيشون في مدينة يوتوبيا. أمّا الفئة الثانية، فهي الفئة المطحونة من الشعب التي تمثل أبناء موظفي الحكومة وأحفادهم، ومحدودي الدخل الذين لم يتمكنوا من الاستمرار في حياة تنهشها الرأسمالية لمبادئها الجافة، ويعيشون خارج يوتوبيا، ويسمّون "الأغيار".

مخطط لأنواع الشخصية في رواية يوتوبيا

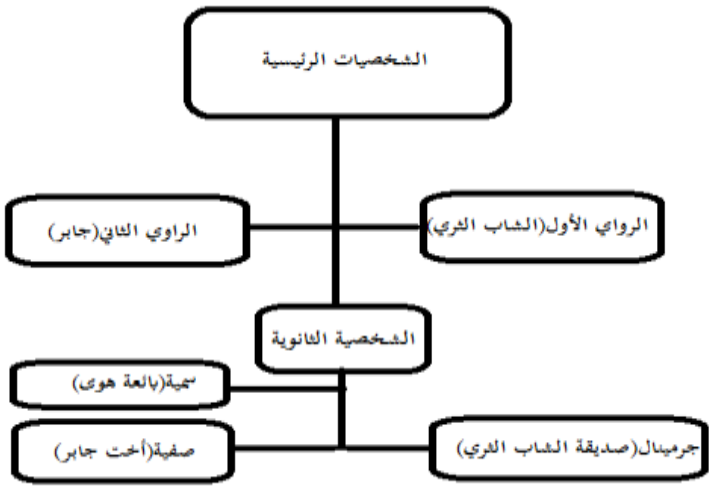

تحفل رواية يوتوبيا بنوع في الشخصيات، ومن بينها الشخصيتان الرئيستان اللتان أدّتا دورًا مهمًّا، وهو دور الراوي: الراوي الأول (الشاب الثريّ)، الراوي الثاني جابر (الشاب الفقير).

شخصية الراوي الأوّل

هي الشخصية الرئيسة، لكنّها ليست بطلة، إذ لا تمثل الخير، ولا تتبع أهدافًا عالية. هي شخصية شابّ مراهق من مدينة يوتوبيا، ويعدّ شخصية محورية تمثل قوى الشرّ التي نالت الحصة الكبرى عبر الأحداث، إذ نجدها في جميع

فصول الرواية التي سمّاها الكاتب "الصياد"، وهي تكون الأغلبية في هذه الرواية. أمّا باقي الفصول، فسمّاها "الفريسة"؛ وهي منسوبة إلى شخصية جابر. يعيش الشاب الثري مع عائلته، أمّه وأبيه اللذين يناديهما باسمهما، مراد ولارين. تبدأ أحداث الرواية على لسان الراوي بوصف حياة بالغة الثراء، شديدة الرفاهية. واستخدم معها كلّ ما يرتبط بعلوّ الشأن والمكانة من صيغ مبالغة، وهذا يمثل الطبقة الرئيسة في المجتمع المصري. تدور الأحداث حول شخصية الشابّ الثريّ، هذه الشخصية «هي التي تقود الفعل، وتدفعه للأمام، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسة بطل العمل دائمًا، ولكنّها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية» ([1]).

تصف لنا هذه الشخصية حياتها اليومية عن طريق الوصف المباشر أو التمثيلي:

«أصحوا من النوم .. أفرغ مثانتي .. أدخن .. أشرب القهوة .. أحلق ذقني .. أعالج الجرح في جبهتي ليبدو مريعًا .. أضاجع الخادمة الأفريقية .. أتناول الإفطار .. أصبّ اللبن على البيض وأمزق كلّ هذا بالشوكة .. ألقي بالخليط المقزز في القمامة .. أتثاءب .. أضحك .. أبصق .. ألتهم اللحم المحمر.. أدسّ إصبعي في حلقي.. أدخل غرفة نوم لارين أفرغ ما بمعدتي على البساط.. أضحك.. أدسّ إصبعي في أذني.. آخذ زجاجة ويسكي من البار وأجرع منها.. أرقص.. أترنح.. أقف فوق الأريكة[...] ساعة واحدة فعلت فيها كل شيء ولم يبق لي شيء في الحياة يهمني أو أريده!!» ([2]).

يمكننا من خلال هذا النموذج أن نتعرف على سلوكيات الشخصية، فهي شخصية رئيسة سئمت من حياة الرفاهية، وتشعر بالملل والسأم. كلّ هذه الأعمال والسلوكيات التي تنتج منها، تساعد القارئ أو المخاطب على فهم مدى الملل ورتابة الحياة التي تعيشها هذه الشخصية. انطلاقًا من هذا الموقف، تعدّ الشخصية الرئيسة نقطة مهمّة «يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فعليها نعتمد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي»([3]).

يتضح لنا عبر هذا النصّ البعد الاجتماعي في شخصية الراوي الأول بشكل أكبر. إذا قمنا بالنظر من زاوية الحالة الاجتماعية الخاصة بحياته، فإنّنا نجده فتى في السادسة عشرة من عمره، شابًّا مراهقًا أرهقته حياة الثراء، إذ امتنع الكاتب أن يختار له اسمًا معينًا، و لعلّه كان متأثرًا في هذا الأسلوب بالروائيين الجدد في الغرب، لأنّه بإمكاننا أن نجد هذه التقنية في بعض روايات "كافكا"، "ناتالي ساروت"، "ميشال بوتور"، "كلودسيمون"، "صمويل بكيت" وغيرهم، إذ جعل الشخصية تأبى أن تذكر اسمها، وبقيت من دون تسمية، وهذا ما برز في الرواية:

«من أنا؟... دعنا من الأسماء.. ماقيمة الأسماء عندما لاتختلف عن أي واحد آخر؟» ([4])

أمّا إذا قمنا بالتنبؤ لوضعه التعليمي أو الثقافي، فنجد أنّه قرأ كثيرًا من الكتب التاريخية، والسياسية، والعلمية التي يحتفظ بها شخص يدعى "سالم بك" في منزله للزينة. فهذا الشابّ شخص متعلم، ومثقف بالنسبة لوالديه ورفاقه الذين لم يقرؤوا، ولم يعلموا ما القراءة أصلًا؛ لأنّ مدينة يوتوبيا لا تدعم التعليم، ولم تؤسس للشباب مدارس أو جامعات لتثقيفهم. يتضح من خلال قراءتنا للرواية أنّ يوتوبيا أسست مدارس لتعليم الآباء لكيفية التعامل مع أبنائهم.

شخصية الراوي الثاني

هي الشخصية الرئيسة التي تمثل قوى الخير بالنسبة إلى باقي الشخصيات، التي لا تقلّ أهمية من الراوي الأول. يدعى "جابر" الأعرج الذي فقد عينه في المشاجرة، فاجتمع لديه العرج والعور، ليصبح شكله مألوفًا لمواطن يحيا في بقايا المجتمع، ويعيش خارج مدينة يوتوبيا، حيث الأغيار، حيث لا يتواجد مكان للعيش، ولا مكان للضعفاء. هذه الشخصية، أعني جابر، تقوم بمهمة الراوي حيث تبدأ مهمتها من الفصل الثاني.

يصف جابر حياته بجمل متفرقة ترى فيها كمّ المعاناة الذي يحيا الفرد بين الأغيار، بشكل وصل إلى أنّ العثور على كلب ضال يعدّ وجبة شديدة الثراء لمجتمع فقد مبادئ الآدمية وحقوق الإنسان.

أمّا البعد النفسي لشخصية جابر، فيتضح أنّه يعاني من مشكلة، وهي أنّه لايستطيع أن يحلم، لأنّ الواقع الكابوسي قتل أحاسيسه ومشاعره عندما يقول: «**فقط في سنّ العشرين أدركت الحقيقة القاسية، وهي أنّ عليَّ أن أحيا بلا أحلام**([1]).فصار يتحرك بعشوائية كالحيوانات الضالّة يجاهد بغريزته فقط، كي يحيا يومًا إضافيًا يتناول فيه بقايا جلد دجاجة، أو يدخن فيه سيجارة حشيش، أو تقع يده على جرعة من كنز الفلوك– فينتقل بتأثره الانتشائي من أرض الأغيار إلى أرض الأحلام. لذا، فإنّ القاصّ خلال البعد النفسي يهتم بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها، وعواطفها، وطبائعها، وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها.

الحبكة

الحبكة هي كيفية توالي الأحداث في الرواية وفق تسلسل خاص بحيث تتشكل في ضوء إطار الدال والمدلول. إذ يكون كلّ حدث فيه بسبب حدث قد وقع من قبل، وأيضًا يكون السبب في أحداث قد تقع فيما بعد. الحبكة هي الخطّ الذي يشدّ هذه الأحداث بإحكام يربط بعضها إلى بعض لتكوين نسيج حكائي متماسك وموحد ومنسجم. المراد بالحبكة «سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية»([2]). فلو قامت حكاية ما على الحبكة، فهذا يعني أنّها تعتمد الترابط المتين، وتقوم على السببية، فالحبكة في أساسها «تتكون من جمل ومفردات تتتابع لتكوّن لبنة فوق أخرى، ذلك البناء المسمى الحبكة»([3]).

أبدع أحمد خالد توفيق في رواية يوتوبيا بالحبكة، إذ استطاع أن يقدم أحداث روايته من خلال حبكة قويمة. إنّ أحداثها الجارية قد اعتمدت على المنطق الروائي؛ وقد رتّبها وطورها بإتقان، وجعلها متصلة بعضها ببعض، فمثلًا عندما سكتت الطبقتان: الوسطى والفقيرة، عن طلب حقوقهما بعدما سلب منهما كلّ شيء، كان سببًا كافيًا لإتاحة الفرصة لليوتوباويين أن يملكوا كلّ شيء، وكلّ ما يخطر ببالهم من خدمات وأكل، وتفريح، وحياة بالغة الثراء. ومن هنا، كان سببًا للملل الذي يعيشه اليوتوباويون. أمّا الفقراء أو ما أسماهم الكاتب بالأغيار، بسبب صمتهم عن المطالبة بحقوقهم، فصارت حياتهم شبه مستحيلة، إذ أعدمت الخدمات الحياتية لديهم، وأخذوا يأكلون الدجاج الميت، والكلاب الضالّة ليعشوا يوماً آخر. معظم هذه الأحداث كانت بسبب أحداث وقعت من قبل، وأيضًا كانت سببًا لوقوع أحداث أخرى، وكأنّ كلًا من هذه الأحداث علّة لما سيليها، إذ إنّ سابقها مستدرج للاحقها في سياق الرواية ،غير أنّه لا يوجد عنصر الحلّ.

الحبكة في رواية يوتوبيا من حيث تركيبها متماسكة، لأنّها تعتمد على تسلسل الأحداث، ولا نجد انفكاكًا بين الحوادث، ولا تقوم على سلسلة من الحوادث أو المواقف المفصلة التي تكاد ترتبط برباط ما. كلّ الأحداث تعود لسبب واحد، هو صمت الشعب المصري عن المطالبة بحقوقه.

أمّا من حيث الموضوع، فإنّها تقوم على حكاية واحدة، وهذا ما يسمّى بالحبكة البسيطة، والحبكة البسيطة لاتقتضي وجود حكايتين أو أكثر، والحكاية الواحدة هي من مواصفاتها. الحكاية الأصلية في رواية يوتوبيا، هي حياة الشابّ اليوتوباوي الثري، وفكره، وسلوكياته، والهدف الذي يتبعه قتل أحد الأغيار. ممّا يجدير بالذكر أنّنا نطلع على حكاية حياة الراوي الثاني (جابر)، ولكن الحكاية الأصلية هي أهمّ شأنًا في الرواية.

تألّفت الحبكة في رواية يوتوبيا من أجزاء مثل: البداية، الصراع،العقدة، القلق(التعليق)، الذروة،النهاية.

العقدة

العقدة في الرواية كما تعرف من اسمها، محل تعقّد الأحداث، حيث تتعقد الأمور وتتشابك الحوادث إلى أن تصل إلى أزمة كبيرة في الرواية. المراد بالعقدة «تشابك الحدث وتتابعه، حتى يبلغ الذروة...»([1]). تشكلت العقدة في رواية يوتوبيا من عدّة مواقف وأحداث ممّا أدّت إلى أزمة كبيرة في مجتمعها، كما أشرنا مسبقًا أنّ المجتمع المصري الذي أتى به الكاتب في روايته، انقسم إلى نصفين: نصف يحيا حياة الثراء الفاحش، ونصف آخر يعاني من حياة الفقر والبؤس. فمن هذا المنطلق، هذا كان سببًا رئيسًا لوقوع حوادث كثيرة، منها الاغتصاب، والسلب، والنهب، والقتل. تشابكت الحوادث هذه واحدة تلو الأخرى، ثم يتبعها حادث قتل جابر، واغتصاب أخته ممّا أدّى إلى إشعال نار الغضب بين الأغيار وثورتهم. يشترط في العقدة أن تتضمن صراعًا قدريًا أو ناتجًا عن ظروف اجتماعية، أو صراعًا يقوم بين الشخصيات الموظفة أو صراعًا نفسيًا يدور في داخل الشخصيات([2]).

تعقّدت الحوادث في يوتوبيا كثيرًا، إذ وصلت إلى التأزم مما جعلت القارئ متشوقًا لانفراج الأزمة، لكنّها لم تصل إلى الحلّ النهائي.

الحوار

يقصد بالحوار الكلام الذي يدور بين شخصيتين أو أكثر بطريقة منتظمة، إذ يقوم الشخص بالاستماع إلى كلام الطرف المقابل ومحاورته بعده مباشرة، فكثيرًا ما «يكون الحوار السلس المتقن مصدرًا من أهمّ مصادر المتعة في القصة، وبواسطته تتصل شخصيات القصة، بعضها بالبعض الآخر اتصالًا صريحًا مباشرًا»([3]). تستعمل في الحوار لغة سهلة وواضحة، كي يتمكن الكاتب من إيصال المراد إلى المتلقي.

يقوم الحوار في الرواية بدور مهمّ، حيث يمكن أن يخفّف من رتابة السرد الطويل الذي قد يكون مبعثًا للسأم، والملل، وبتدخل الحوار الخفيف السريع يقترب النص من لغة الواقع أكثر، إذ أداته هي اللغة، ولذلك يجب أن تكون عاملًا بنّاءً في الفن القصصي، وعامل تعبير عن الأفكار والآراء.([4]). لذا، يتبين لنا أنَّ عنصر الحوار يعدّ عنصرًا أساسيًا في بناء النصوص النثرية، وينقسم إلى القسمين: الحوار الداخلي والحوار الخارجي.

الحوار الداخلي

يقصد بالحوار الداخلي كلّ ما يجوب في النفس من تيّار الوعي([5]) وغيرها من التقنيات الفنية. استفاد الكاتب من هذه التقنية في يوتوبيا كثيرًا؛ مثل كلام الراوي الأوّل عندما اصطحبهم جابر، وجرمينال معه ليعيدهما إلى يوتوبيا:

«ماهي خطته؟ .. الاحتمال الأخطر أنّه يرتب لنا مقلبًا ما.. ربّما يريد التخلّص منّا بعيدًا عن أرضه .. جثتان في الصحراء ولا يعرف أحد من فعلها.. للأسف ليس لدي حلّ إلا أن أثق به ثقةً مطلقةً.. لماذا ينهض هنا؟.. لماذا

يتبادل الهمسات مع السائق؟ إنّه يعود ليجلس جوارنا وإن بدا أنّه ينتظر شيئًا»([1]). كما نلاحظ أنّه جعل الشخصية تكلّم نفسها، وتبيّن لنا مدى شعورها بالخوف والقلق، أو تعبّر عن أحاسيسها ومشاعرها الداخلية بشكل مباشر من دون تدخل منه. إذن، فالحوار في الرواية «حديث بلا صوت يدور في العالم الداخلي للشخصية، وفيه تكلم الشخصية نفسها بحديث خاص جدًا، ويستخدم الكاتب هذا النوع من الحوار الداخلي ليكشف لقارئه ما يدور في داخل الشخصية من مشاعر وأفكار ذاتية، ويوضح ما يدور في البال بعد ما أظهر ما يدور في العلن»([2]). ومثل ذلك حوار جابر بينه وبين نفسه حول قتل الأغيار على يد اليوتوباويين: «**ثم قلت لنفسي إنهم على الأرجح يبالون ..يدققون جدًا في ذبح الدجاج لكنهم لا يدققون بصدد ذبحنا .. لا يسمّون علينا و لايحسنون قطع الوريد.**»([3]).

يتضح لنا عبر إمعان النظر في توظيف تقنية الحوار في الرواية، أنّ الروائي أراد من خلال عنصر الحوار ترسيم ملامح الشخصية، وطبقتها المنتمية إليها، وبيئتها، ومهنتها، فبدون استخدام الحوار لا يمكن للروائي أن يتعامل مع البيئة المقصودة والمرسومة بكلّ ما فيها من صفات وخصائص استوحى منها أعماله. لاحظنا أنّ الحوار يؤدي إلى كسر الرتابة، وجذب المتلقّي، وشدّ انتباهه نحو النصّ، فضلًا عما يلعب من دور مهمّ وبارز في تقوية البنية السردية للرواية إلى جانب العناصر الأخرى كالوصف والسرد، بالإضافة إلى قدرة الحوار في الكشف عن الوجود المتميز للبنية في النص الروائي كاللغة، والرسوم، والأعراف السائدة في المجتمع الإنساني.

الحوار الخارجي

يكثر الحوار الخارجي في هذه الرواية، إذ نشاهد أنّ الشخصيتين شاركتا في كلام دار بينهما حول قضية معينة مثل الحوار الذي دار بين سالم بيه والشاب اليوتوباوي حول القراءة:

«"**قال لي سالم بيه: – أنت تقرأ كثيرًا .. أنت مجنون.. قلت له إنَّ القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من المخدرات. لا أفعل بها سوى الغياب عن الوعي**»([4]).

فنرى أنَّ الشخصيتين شاركتا في الكلام بشكل منتظم حيث تكلم شخصية سالم بيه الذي يملك الكتب، وأجابه الشاب عن الموضوع نفسه إجابة مباشرة. فمن هذا المنطلق، يعدّ الحوار «جزءً مهمًّا من الأسلوب التعبيري في القصة؛ وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه»([5]).

إذن، فالحوار عنصر مهمّ لكشف نفسية الشخصيات داخل العمل النصي، رواية كانت أم مسرحية. يكون الحوار معيارًا نفسيًا دقيقًا يستطيع أن يكشف نفسيات الشخصيات بذكاء وحذق. لذا يمكننا القول إنَّ الحوار العنصر الوحيد الذي يستطيع توضيح سلوكيات الأشخاص، وخلفيات حياتهم، رئيسة كانت أم ثانوية، إذ يستخدمه الكاتب ليجعل الحوادث أكثر حيوية وواقعية، لأنّه لايريد أن يلفت نظر القارئ تجاهها.

السرد

الرواية هي سرد للأحداث والشخصيات، وعلاقات معينة تحكمها مجموعة من الروابط السردية، وبالتالي لا يمكن الدخول إلى عالم الرواية إلا انطلاقًا من الرمز الذي يشكله السرد.

تنسج رواية يوتوبيا عالمها، فيطوّع أحمد خالد توفيق فنية السرد لصياغة مجموعة من العلاقات بين الشخصيات من جهة، وبينها وبين واقعها الذي تعيشه من جهة أخرى. السرد في "يوتوبيا" معقود حول المعاناة العامّة التي ستحلّ في مصر عام 2023م وكشف حقيقتها؛ تلك الحقيقة التي لها معنى الإعاقة، والهلاك، والسقوط في الفقر المدقع، والظلم، والجوع، والمعنى الذي يجب أن يهدم ليولد نقيضه. صاغ أحمد خالد توفيق في رواية يوتوبيا تقنية السرد من الأشكال

الفنية المتضاربة، ويدلّ هذا التنوع على ثراء التجربة القصصية لديه. أهمّ هذه الصيغ الخاصة بأسلوب السرد صيغة ضمير الغائب، وصيغة ضمير المتكلم، وصيغة ضمير المخاطب.

أكثر الراوي من توظيف ضمير المتكلم المفرد في النص الروائي خاصّة في القصص التي فيها عن سيرة ذاتية، أو التي تصور الموضوعات العاطفية، والاجتماعية، التي تقع أحداثها غالبًا في الزمن الحاضر، لأنّ عنصر السرد معتمد معظم الأحيان على الأفعال المضارعة الدالّة على الزمن الحاضر، أو المستقبل، و يوحي هذا بأنّ أحداث هذه القصص لا تزال بموضوعاتها قائمة على الواقع الفني، وأنَّ ضمير المتكلم هو الأنسب في التعبير([1]).

في موازاة استخدام أحمد خالد توفيق صيغة الغائب في الرواية، نلاحظ أيضًا صيغة المتكلم بشكل كبير. يمكننا القول إنَّ الكاتب لم يكن موجودًا في النصّ. كنموذج لاستخدام هذه الصيغة، فنرى عندما يسرد الأحداث من لسان الراوي الأول (الشاب اليوتوباوي) واصفًا نفسه، إذ يقول:

«أمارس الحفاء لكن ليس اليوم.. أعلق القرط الجديد في غضروف أنفي، والقرط الآخر في حاجبي.. لن أضع حلية اللسان اليوم.. ثم بصبر أقوم بتلوين أسناني اللون الأحمر للنابين، والأخضر للقواطع.. الأزرق للضروس.. هذه الصبغة ممتازة ولاتزول بسهولة .. يقولون إنّها غير سامة.. من يبالي بهذا؟.. ليتها كانت سامة..»([2]).

يمكننا أن نعرف عبر هذا النموذج، مدى قوة وجود صيغة المتكلم في نص الرواية، إذ استطاع الكاتب من خلال هذه الصيغة أن يصف الحالة الجسمية من الداخل، والخارج، والحالة النفسية أيضًا لشخصية روايته. ومن هنا يمكننا القول إنَّ هذه الصيغة وحدها بإمكانه أن تكون سببًا للفت أنظار القراء، وإقناعهم بدور الشخصية والتأثير فيهم.

الوصف

توجد في رواية يوتوبيا أوصاف كثيرة وبارعة، حيث استفاد الروائي منها لتكوين نسيج روايته، وإلقاء معانيها في ذهن القارئ. استغلّ أحمد خالد توفيق أوصاف عديدة ومختلفة، كوصف الشخصيات الظاهري، ووصف مظهر الشاب اليوتوباوي بشكل احترافي. ومن خلال هذه الأوصاف يمكن لنا فهم سلوكيات، الشخصية وحياتها، وعند قراءتنا تلك الأوصاف تتضح أمامنا الشخصية بكامل هندامها.

يستخدم معظم الروائيين هذا العنصر لخلق البيئة التي تجري فيها أحداث رواياتهم، لأنَّ الأوصاف في الرواية لا تصاغ لمجرد الوصف، بل لأنّها تساعد الحدث على التطور، ولأنهّا في الواقع جزء من الحدث نفسه([3]).

كذلك في الوصف الظاهري للشخصيات نجده يقدم وصف "صفية"، إذ يعطينا صورة كاملة من حياة الفقر والبؤس التي تحياها المرأة المصرية في الطبقة المطحونة:

«دخلت الكوخ فتاة في العقد الثاني من العمر.. يبدو أنّها مليحة، وإن كانت قذارة أسمالها تخفي أيّ حسن .. القذارة جعلت ثوبها صلبًا لايرف، ولايهتز كأنّه من جلد مدبغ.. نظرة الحيوان الخجول الوجل المتواري في الدغل تبدت في عينها..»([4]).

أوصاف الكاتب لشخصيات روايته بارعة جدًا؛ حيث جعلها تتناسب مع مكانة الشخصيات في مسير الرواية، ومتسقة مع خصائصها الباطنية أيضًا. كذلك نرى في الرواية الأوصاف العملية للشخصيات، كوصف العمل المنزلي لصفية:

«الصباح وصفية تقوم بأعمال غريبة من نوعها..تمزق الأوراق من مجموعة من كراسات المدارس القديمة..تقطع بعض العلب من الورق المقوى إلى شرائح طويلة.. تسكب سائلاً أسود في إناء..تجمع أعواد ثقاب تالفة في كيس..

تلحم قطعا من البلاستيك..تبري بقايا صابون وتضع عليها بعض البوتاسا الكاوية.. تسكب بعض الماء في البطارية..تمزق قطعة من الليف إلى أشلاء..»([1]).

يصف القاصّ بهذه العبارات "صفية" عن طريق السرد الذي قام به الشاب الثري، وهي تقوم بهذه الأعمال المعقّدة التي تراها أعمالًا منزلية. تعدّ "صفية" أختًا لجابر، ويعيشان في كوخ على أرض الأغيار. لذا، فمن الطبيعي أن تكون هذه الأعمال أعمالًا منزلية لدى نساء القوم. هذه العبارات كانت من النماذج التي وصفت الشخصيات الظاهرية، والعملية التي استخدمها الكاتب، وجعل الاندماج بينها ملحوظًا. جعلتنا هذه الأوصاف نتخيل الشخصيات، ومواقفهم أمامنا بتلك الملامح الظاهرية، والعملية، لنحسّ بمعاناتهم بداخلنا ومدى بؤسهم. ومن هنا «يتوقف السرد من أجل وصف الشخصيات أو الأمكنة، الأشياء التي تحتويها، وبما أنَّ الوصف متعلق بالسرد عندها لا يكاد القارئ يشعر بالانفصال بينهما»([2]).

البيئة

البيئة عنصر مهم وأساسي في النصوص الأدبية، إنّه الحيّز الأساسي الذي ستقع فيه الأحداث، فبيئة القصة «تشتمل على زمان وقوع الأحداث ومكانها. ومن ثمّ، تسير الرواية في خطّين متعامدين يحددان موقع الحدث وهما: الزمان والمكان»([3]).

الزمان

يتجلى عنصر الزمن في رواية يوتوبيا بصورة متعددة، فإطار الزمن الواقعي في الرواية يحتوي على الحاضر، ولكن تمتدّ نهايتها إلى المستقبل القريب. وأمّا أحداثها فتجري كلّها عام 2023 م، الفترة التي يصور فيها أحمد خالد توفيق هذه الرواية؛ عام 2008م، أي قبل سنة 2011م في مصر، وكان من الطبيعي أن تشهد المدن الاحتكارات، والفساد الاجتماعي، والاقتصادي، فثمة وضع فاسد، وهو يهدد بالانفجار. لذا، كتب المؤلف هذه الرواية وجعل حوادثها تحدث في المستقبل القريب، ليكون صافرة إنذار عن الوضع الحالي في مصر.

يعدّ الزمن عنصرًا بنائيًا في جميع فنون القصص منها الرواية، فعليه تترتّب عناصر التشويش، واستمرار الأحداث الروائية المتتابعة، ومن منظومة لغوية معينة تعتمد على الترتيب، والتواتر، والدلالة الزمنية. الزمن عنصر من عناصر الواقع الذي يجب مراعاته في رسم الشخصية، أو وصف البيئة. فالكاتب يدرك أنَّ لكل زمانٍ طبيعته وظروفه وخصائصه التي يجب مراعاتها.([4]).

كما أسلف تقع أحداث الرواية عام 2023م، إذ أشار الشاب اليوتوباوي إلى هذا الزمن قائلًا: «**كان شابًا ظريفًا.. قال لي إنّ أباه أصيب بجرح مماثل في حرب عام 1973 مع المصريين، وسألني إن كنت أذكر شيئًا عن الموضوع...هذه الأمور مرّ عليها خمسون عامًا**»([5]).

تعمد الكاتب في ذكر تاريخ الحرب التي وقعت بين الإسرائيليين والسوريين؛ ليعطي طابعًا مميزًا للرواية، إذ جعلها تقترب إلى الواقع، وهذا ما يثير الإعجاب والتشويق لدى القارئ. أيضًا يستخدم الكاتب عبارة (هذه الأمور مرّ عليها خمسون عامًا)، ليحدد الزمن الذي ستبدأ الأحداث فيه؛ لكنّه لم يصرّح في أي شهر من شهور السنة وقعت تلك الأحداث، لكننا ما إن قرأناها و لممنا حوادثها وأوقاتها، نجدها أنّها امتدّت في غضون أسبوع أو أقلّ.

استخدم القاصّ عبارات متعددة في تبيين زمن الحوادث، منها ما يذكر في بعض الأحيان الساعات والدقائق، كمثال على التوقيت نأتي بنموذج :

«كانت العاشرة مساء .. و قد حان وقت التحرك.. لقد رسمت الخطة بعناية ..»([1]).

نرى في هذا النموذج الزمن المحدد لتنفيذ خطّة الشابّ اليوتوباوي، وهو الساعة العاشرة مساء ليتنكر بلباس الأغيار هو وجرمينال، ومن ثمّ يركبان السيارة التي تنقل عمّال الأغيار إلى مناطقهم العشوائية. أيضًا استخدم فعل (كان)، وهذا يعني أنّ الشخصية تسرد لنا ما حدث معها في زمن سابق لزمنها الذي تلى السرد فيه. فالزمن «مجموعة علاقات زمنية،السرعة، التتباع، البعد...بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما، وبين الزمن والخطاب المسرود والعملية المسرودة»([2]). فالزمن إذن، عبارة عن «مدّة زمنية محددة لها بداية ونهاية وقعت فيها مجمل أحداث الرواية»([3]).

لذا يتبين لنا أنّ الزمان عنصر سردي مهمّ يستخدمه الكتّاب في رواياتهم، لتنظيم الوقت مع مسيرة الأحداث وأدوار الشخصيات فيها، لأنّ الشخصية والزمان في الرواية يعتبران جزءً مهمًّا، إذ يتطلب ظهور أية شخصية زمنًا روائيًا محددًا ومهمًّا لدى الروائي في سير الأحداث، ما يضفي على النص الروائي جماليات إبداعية وفنية تجذب المتلقّي.

في رواية يوتوبيا بإمكاننا أن نرى زمنين مختلفى؛ زمن القصة وزمن الحكي، إذ إنّ «زمن القصة تقع فيه الأحداث متسلسلة وفق ترتيب منطقي. أمّا زمن الحكاية كونه يستجيب لرؤية الكاتب، فهو زمن يتراوح بين الماضي وبين القفز إلى المستقبل.»([4]).

المكان

يؤدي المكان داخل العمل الروائي دورًا مهمًا بالأخص في خلق الشخصية، لأنّ هناك علاقة مباشرة بين المكان الذي يعمل كالإطار، حيث تدور فيه الأحداث والشخصيات، فكل حادثة لا بدّ «أن تقع في مكان معين لا على أساس أنّه (موقع) الحدث فحسب، بل على أساس أنّه دافع ومحرك للحدث، ومسبب لكلّ ما تقوم به الشخصيات من حركة داخل العمل الأدبي، بل هو واحد من العناصر التي يخلق وعي الإنسان، وتتشكل تجاربه عبر تماسه معها، فهو بذلك ليس وعاءً مجردًا لوقوع الحدث، أو حيزًا للحياة فحسب، بل صورة مهمة من صور وجودها».([5]).

ذكر أحمد خالد توفيق الأماكن في روايته، منها ما ذكرها ذكرًا عابرًا لم يجعل لها أهمية، ومنها ما ذكرها بالتفصيل وبشكل دقيق مبرزًا أدقّ تفاصيلها، وعندما يقرأ القارئ هذه الرواية، يجد نفسه يقوم بعملية قياس منطقي، مادامت هذه الأمكنة حقيقية. إذن، فأحداث هذه الرواية وأشخاصها حقيقية.جاء القاصّ بوصف الأحياء،مدينة يوتوبيا،الأزقّة،الساحة، النفق السري، المترو، الكوخ، إلخ...هذه الأمكنة كانت من الأماكن التي ذكرها ضمن النص الروائي المبدع، سواء ما تعلق منها بالأماكن العامة أو الخاصة.

من نماذج عنصر المكان ضمن الرواية ما ورد على النحو التالي:

«(يوتوبيا) ... المستعمرة المنعزلة التي كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، والتي صارت تحوي كل شيء يريدونه؛ يمكنك أن ترى معي عالمها .. البوابات العملاقة السلك المكهرب.. دوريات الحراسة التي تقوم بها شركة (سينكو) التي يتكون أكثر العاملين فيها من (مارينز) متقاعدين.. أحيانًا يحاول أحد الفقراء التسلل للداخل من دون تصريح، فتلاحقه طائرة الهليوكوبتر وتقتله.. بعد هذا منطقة الحدائق .. منطقة المدارس المخصصة لإقناع الآباء أنّهم مازالو كذلك.. منطقة دور العبادة [...] منطقة المولات.. هنا يمكنك أن تبتاع الفلوجستين بشكل غير رسمي من بعض رجال الأمن.. ثم ترى القصور.. قصر (علوي) بك ملك الحديد.. قصر (عدنان) بك ملك اللحوم.. قصر أبي ملك الدواء.. ثم المطار الداخلي..»([6]).

كما نرى عبر النموذج أنَّ مدينة يوتوبيا مكان مفتوح، لكنّه في الحقيقة مغلق على مواطنيها، وكما علمنا أنَّ لها أبوابًا عملاقة، حيث يحرسونها بسلك مكهرب وجنود المارينز مخافة أن يدخلها الأغيار. لذا، سكانها يرون أنفسهم محتجزين بها، ودائماً يشعرون بالملل والسأم. إذن، فالحالة النفسية يمكنها تحويل المكان المفتوح إلى المغلق، وهذا ينطبق على الأماكن المغلقة، أي يمكن أن تتحول إلى أماكن مفتوحة، وبالتالي انغلاق المكان أو انفتاحه رهين بالحالة النفسية الساكنة ([1]).

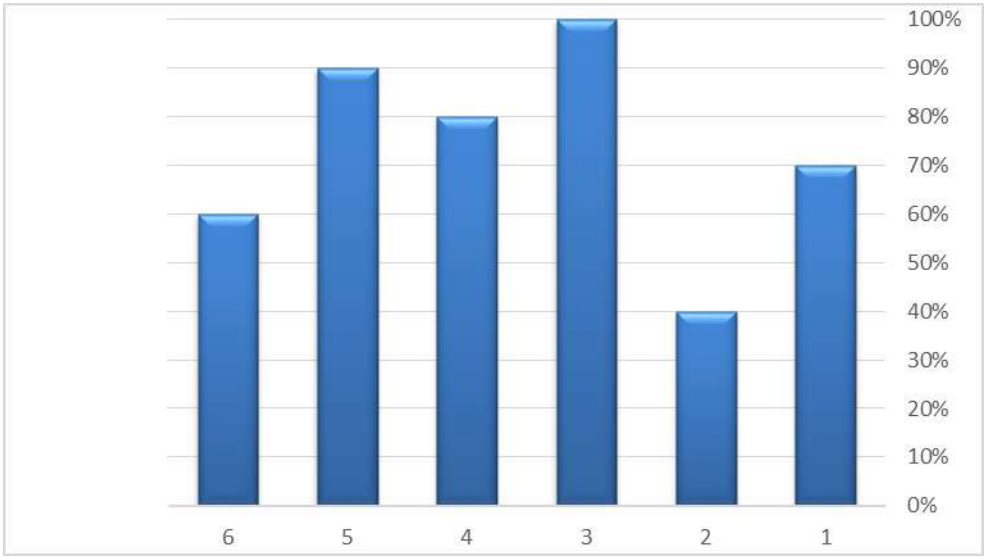

المخطط لبنية العناصر في رواية "يوتوبيا"

1.الشخصية الرئيسة (الراوي الأول)	2.الشخصية الرئيسة(الراوي الثاني)	3.الحوار	4.الحبكة	5.المكان	6.الزمن

مجموعُ فصول الرواية وأجزاؤها: تحتوي الرواية على 192صفحة، وخمسة فصول وكل فصل يحتوي على أربعة أو خمسة أجزاء.

الشخصيات الأصلية: تحتلّ شخصية الراوي الأول 70% من فصول الرواية، أمّا شخصية الراوي الثاني فإنّها احتلّت 40% .

الحوار: أقيم بناء الرواية على الحوار، وكما تبيّن لنا النتائج بأنّ الحوار 100%، ما بين الحوار الداخلي والحوار الخارجي.

الحبكة: تحتل الحبكة في 80% من فصول الرواية، فإنّ أحداثها الجارية قد اعتمدت على المنطق الروائي؛ وقد رتّبت وطورت بإتقان وجعلت متصلة بعضها ببعض.

المكان: كما يبين لنا المخطط أنَّ المكان احتلّ 90%، لأنَّ كل أحداث الرواية والشخصيات كانت موجودة في مكانٍ ما إلاّ في لحظات مثل حديث النفس ،عندما لا يذكر لنا المكان.

الزمن: كما نراه في المخطط بأنّه يحتلّ 60% حيث يشمل الأحداث التي وقعت فيه.

النتائج والمناقشة

من خلال دراستنا للعناصر الروائية، نقف عند أهمّ النتائج التي توصلنا إليها، التي ستزيد من وضوح العمل وفهم غاياته. تبين نتائج النماذج:

1- صوّرت رواية يوتوبيا الأحداث والشخصيات في فترة من المستقبل القريب عام2023م، إلّا أنّ أحداثها قريبة جدًّا إلى الواقع، ولها طابع مميز، إذ وصفت الصراع بين الطبقات الاجتماعية، والطبقة البرجوازية، والطبقة المطحونة والفقيرة من الشعب. أمّا عن الطبقة الوسطى، فإنّها قد أعدمت؛ وهذا ما جعل الموازين الاقتصادية تنقلب رأسًا على عقب.

2- استخدم الروائي "أحمد خالد توفيق" عنصر الشخصية في روايته، وجعلها الوسيلة الأساسية التي ساعدت على تحقيق الأفعال؛ لأنّه لايستطيع عزل الشخصية عن بقية العناصر الفنية في الرواية. وهذه الشخصية لا يمكنها أن تأتي من عدم، بل يجب أن يكون هناك بيئة تنتمي إليها وتعيش فيها وتتأثر منها. أبدع في تصوير الأحداث والصراع بحيث جعلها مترابطة بعضها ببعض، وكلّ حدث كان سببًا لحدث آتٍ، وهذا الحدث أيضًا كان واقعًا بسبب حدث قبله، مما زوّد القارئ بالإثارة لإكمال عملية القراءة.

3 -أبدع أحمد خالد توفيق في هذه الرواية بالحبكة، إذ استطاع أن يقدم أحداث روايته من خلال حبكة قويمة. اعتمدت أحداثها الجارية على المنطق الروائي؛ وقد رتّبها وطورها بإتقان وجعلها متصلة بعضها ببعض. استخدم عنصر البداية بحادث قتل أحد من الأغيار، حيث لخّص لنا كل الرواية، ومن ثم ربط الحادث بالصراع الجديد، عندما قررت إحدى شخصياته التسلق إلى خارج مدينة يوتوبيا. ثم ربط الصراع بعنصر العقدة، وهو أن تتعقد الأمور وتتشابك الحوادث إلى أن تصل إلى أزمة كبيرة ،وهي قتل جابر وإلى آخرها من الحوادث.

4- استفاد الكاتب في هذه الرواية من عنصر الحوار بين شخصياتها تخفيفًا لرتابة السرد. كما نعلم أنَّ هذا العنصر يزيح الستار عن الشخصية، ويكشف للقارئ عمّا تخفيه الشخصيات من مواقف ومشاعر. فالحوار يساعد الكاتب في تبيين كل شيء بدل السرد.

5-يعتبر الزمن والمكان عنصرين ذوي أهمية فائقة في نجاح الرواية، إذ إنّه من المستحيل أن يتشكل الحدث دون مكان وزمان، وهكذا لا وجود لشخصيات لا تنتمي إلى بيئة معينة. إنَّ الأمكنة التي اختارها الكاتب في روايته، أمكنة واقعية مثل مصر، شبرا، الإسكندرية، وهذا ما يزيد النص جمالًا و تميزًا وألقًا.

الهوامش:

[1]- مرتاض، عبدالمك، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، 1998م،11.

[2]. القاضي،محمد وآخرون، معجم السرديات،2010م، 271-270.

[3]- يوسف نجم، محمد، فن القصة،1979م،64.

[4]- نفسه،74-73.

[5]- سنابور، عشر دراسات لكتابة القصة، 1383هـ.ش، 30.

[6]- برين، علم النفس للشخصية (الرأي و الدراسة)، 1378هـ.ش،22.

[7]- ميرصادقي، عناصر داستان، 1394هـ.ش،45.

[8]- لحمداني، بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، 1991م، 45.

[9]- عزيزي، بنية الحوار في رواية كبرياء وهوى لجين أوستين، 2016م، 12.
[10]- جبور، المعجم الأدبي، 1984م، 100.
[11]- يوسف نجم، السابق،58.
[12]- زعرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي،2005م، 132-131.
[13]- خالد توفيق، يوتوبيا، 2005م، 27-26.
[14]- بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم ،2010م، 57.
[15]- خالد توفيق، السابق،15.
[16]- نفسه،69.
[17]- يوسف نجم، السابق، 63.
[18]- غنايم، تيّار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية،1993م، 388.
[19]- الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، 1983م، 152.
[20]- نفسه، 142.
[21]- يوسف نجم، السابق، 117.
[22]- شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،1997م،29.
[23]- بدير، الرواية الجديدة في مصر، قراءة في النص الروائي المعاصر ،1988م،72.
[24]- خالد توفيق، السابق، 171.
[25]- شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، 2006م، 99.
[26]- خالد توفيق، السابق،143.
[27]- نفسه، 15.
[28]- يوسف نجم، السابق، 117.
[29]- شريبط، السابق، 152-151.
[30]- خالد توفيق، السابق، 14.
[31]- رشدي، فن القصة القصيرة، 1975م، 97.
[32]- خالد توفيق، السابق، 102-101.
[33]- نفسه، 113.
[34]- بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، 1990م، 45.
[35]- محمد عبدالعال، في النثر العربي الحديث،2008م، 206.
[36]- عبدالرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة ، 1998م، 98.
[37]- خالد توفيق، السابق، 14.
[38]- نفسه،40.
[39]- الخطيب، الرواية والواقع، 1981م، 123.
[40]- إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، 2003م، 87.
[41]-عموري وزهراء سياحي حسيني،دراسة سوسيولوجية في رواية الرهينة لإميلي نصرالله ،2019م،ص535.

[42]– غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، 2016م، 117.

[43]– خالد توفيق، السابق، 22–21.

[44]– صابر عبيد، جماليات التشكيل الروائي،(دراسة في الملحمة الروائية "مدارات الشوق"، لنبيل سليمان)، 2012م، 252.

الاستنتاجات والتوصيات

تشير نتائج الدراسة التطبيقية إلى أنّ الروائي اعتمد على تجسيد ما سيحلّ بمدينة مصر في الأزمنة المقبلة من كوارث ومآس. فمن هذا المنطلق، قام بتوظيف هذه العناصر والمكونات القصصية من أجل تحذير الناس أولًا، والساسة والنظام السياسي القائم ثانيًا، مما لعبت دورًا متميزًا في تشكيل النصّ الروائي، كما أعطى للأمكنة أسماء حقيقية مطابقة لما عليها في الواقع، ليضفي على الرواية الواقعية والمصداقية.

أمّا بالنسبة إلى أهمّ التوصيات، فمن الجدير أن يلتفت النقاد والباحثون إلى مكانة هذه الرواية خاصة، والروايات الواقعية عامّة في النقد الروائي الحديث، ومعالجة أهمّ الأسباب والعوامل التي ساقت الروائي مساق تكوين هذه الرواية الحديثة.

نوصي الباحثين في هذا المجال بالاهتمام بدراسة اللغة الروائية لأحمد خالد توفيق، ليعطوا اللغة الروائية حقَّها، لأنّ اللغة الروائية لا تقلّ أهمية عن بقية العناصر الروائية.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، ط1، المركز الثقافي الغربي، 2003م.

برين، لارنس، علم النفس للشخصية (الرأي و الدراسة)، ترجمة: جوادي و كديور، ط2، طهران، منظمة رسا للخدمات الثقافية، 1378 هـ.ش.

بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصيات)** ،بيروت،دار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990م.

بدير، حلمي، الرواية الجديدة في مصر، قراءة في النص الروائي المعاص، ط1، دار المعارف، 1988م.

بوعزة، محمد، **تحليل النص السردي**، تقنيات و مفاهيم، ط1، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م.

جبور، عبد النور ،المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين ،1984م.

الخطيب، محمد، **الرواية والواقع**، ط1، بيروت، دار الحداثة، 1981م.

خالد توفيق، أحمد، يوتوبيا، ط1، القاهرة، دار ميريت، 2008م.

الركيبي، عبدالله، القصة الجزائرية القصيرة، ط1، تونس، دار العربية للكتاب، مطبعة قلم، 1983م.

رشدي، رشاد، فن القصة القصيرة، ط2، بيروت، دار العودة، 1975م.

زعرب،صبيحة عودة، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي،عمان،دار مجدلاوي،2005م.

سنابور، حسين، عشر دراسات لكتابة القصة، طهران، 1383 هـ.ش.

شرشار، عبد القادر، **تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2006م.

شريبط، أحمد، **تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة**، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.

صابر عبيد، محمد، سوسن البياني، جماليات التشكيل الروائي، (دراسة في الملحمة الروائية "مدارات الشوق"، لنبيل سليمان)، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012م.

عبدالرحمن مبروك، مراد، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
غنايم، محمود، تيّار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، ط2، بيروت، دارالجيل، 1993م.
غني لفتة، ضياء، البنية السردية في شعر الصعاليك، ط1، الأردن، دار الحامد للنشر، 2016م.
لحمداني، حميد، **بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)**، ط1، بيروت،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م.
محمد عبدالعال، محمد، في النثر العربي الحديث، السعودية، مكتبة المتنبي، 2008م.
مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998م.
ميرصادقي، جمال، **عناصر داستان**، چاپ9، تهران، نشر سخن، 1394هـ.ش.
القاضي، محمد، وآخرون، معجم السرديات، تونس، دار محمد علي الحامي، 2010م.
يوسف نجم، محمد، فن القصة، ط7، لبنان، بيروت، دار الثقافة، 1979م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

عزيزي، كنزة، بنية الحوار في رواية كبرياء وهوى لجين أوستين، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2016م.

المجلات والدوريات

عموري، نعيم، زهراء سياحي حسيني، دراسة سوسيولوجية في رواية الرهينة لإميلي نصرالله، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد41، العدد3، 2019م.

References

[1]Ibrahim, Saleh, Space and the language of narration in the novels of Abdul Rahman Munif, 1st edition, Western Cultural Center, 2003 AD.
[2] Breen, Larnes, Psychology of Personality (Opinion and Study), translated by: Javadi and Kadior, 2nd Edition, Tehran, Rasa Organization for Cultural Services, 1378 H.S.
[3]Bahrawi, Hassan, The Structure of the Narrative Form, (Space, Time, Characters), Beirut, Casablanca, the Arab Cultural Center, 1990 AD.
[4]Badir, Helmy, The New Novel in Egypt, Reading in the Novelist Text, I 1, Dar Al Maaref, 1988 AD.
[5] Bouazza, Muhammad, Narrative Text Analysis, Techniques and Concepts, 1st Edition, Rabat, Arab House of Science Publishers, 2010.
[6]Jabbour, Abdel Nour, Literary Dictionary, Beirut, Lebanon, Dar Al-Ilm for Millions, 1984 AD.
[7] Al-Khatib, Muhammad, The Novel and the Reality, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Hadathah, 1981.
[8]Khaled Tawfiq, Ahmed, Utopia, 1st edition, Cairo, Dar Merit, 2008.
[9]Al-Rakibi, Abdullah, The Algerian Short Story, 1st Edition, Tunis, Dar Al-Arabiya for the Book, Qalam Press, 1983 AD.
[10]Rushdi, Rashad, The Art of the Short Story, 2nd Edition, Beirut, Dar Al-Awda, 1975.
[11] .Zorob, Sabiha Odeh, Ghassan Kanafani, The Aesthetics of Narrative in Narrative Discourse, Amman, Dar Majdalawi, 2005 AD.
[12] Sanapour, Hossein, Ten Studies for Story Writing, Tehran, 1383 AH.
[13] Sharchar, Abdel Qader, Literary Discourse Analysis and Text Issues, Damascus, Arab Writers Union, 2006 AD.

[14].Charbit, Ahmed, The Evolution of the Artistic Structure in the Contemporary Algerian Story, D., Arab Writers Union Publications, 1997.
[15].Saber Obeid, Muhammad, Sawsan Al-Bayani, Aesthetics of Novel Formation, (A Study in the Novel Epic "The Orbits of Longing", by Nabil Suleiman), Jordan, Modern Book World, Irbid, 2012.
[16].Abdul Rahman Mabrouk, Murad, Building Time in the Contemporary Novel, Cairo, The Egyptian General Book Organization, 1998 AD.
[17].Ghanem, Mahmoud, The Stream of Consciousness in the Modern Arabic Novel, Stylistic Study, 2nd Edition, Beirut, Dar Al-Jeel, 1993.
[18].Ghani Lafta, Dia, The Narrative Structure in the Poetry of Tramps, 1st Edition, Jordan, Dar Al-Hamid Publishing, 2016.
[19].Hamdani, Hamid, The Structure of the Narrative Text (From the Perspective of Literary Criticism), 1st Edition, Beirut, Arab Cultural Center for Printing, Publishing and Distribution, 1991.
[20]. Muhammad Abdel-Aal, Muhammad, in Modern Arabic Prose, Saudi Arabia, Al-Mutanabi Library, 2008.
[21] Murtad, Abdul Malik, on the theory of the novel; Research in Narrative Techniques, Kuwait, The National Council for Culture, Arts and Letters, 1998.
[22]Mirsadeqi, Jamal, Elements of Dastan, Chap 9, Tehran, Sokhn Publishing, 1394 AH.
[23] Al-Qadi, Muhammad, and others, The Dictionary of Narratives, Tunisia, Dar Muhammad Ali Al-Hami, 2010 AD.
[24]Dear, Kanza, The Structure of Dialogue in Jane Austen's Pride and Prejudice Novel, Algeria, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Larbi Ben M'hidi Oum El Bouaghi, 2016.
[25]Amouri, Naim, Zahraa Seyahi Hosseini, a sociological study in the Novel of the Hostage by Emily Nasrallah, Tishreen University Journal of Research and Scientific Studies, Literature and Human Sciences Series, Volume 41, Number 3, 2019